الدر النفيس

الشيخ محمد نفيس
المترجم ابي ميدان او فخر الرازي الاونوي

الحمد الذى كرم بنى آدم واصطفى منهم العلماء واختار أيضا منهم الزهاد والحكماء والكرماء واختار أيضا منهم الزهاد والحكماء والكرماء واختار أيضا منهم الزهاد والحكماء والكرماء والصلاة والسلام على سيدنا محمّد خاتم الأنبياء الذى خلق من ذاته(إضافة تشريف) (قد تُفهم هذه العبارة على أنها تعبير عن المكانة الروحية العالية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والقرب الخاص الذي يحظى به عند الله وهذا لا يعني أن النبي هو جزء من ذات الله، بل يشير إلى عظمة وتفرد الخلق الذي يعكس النور الإلهي في حياته ووجوده.)، ومنه جميع الأشياء(يُفهم أن كل شيء في الكون كان له علاقة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من حيث الهدف والغرض، أي أن خلق النبي محمد هو الغاية من الخلق أو هو سبب وجود الكون (وعلى آله وأصحابه السادة الأولياء وعلى التابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان الى يوم الجزاء وبعد فلما كانت سنة ألف ومائتين من هجرة النبي الكريم على صاحبها ربّه أفضل الصلاة وأذكى التسليم قد المس مني بعض الإفخوان فتح الله قلبي وقلبه بنور المشهادة والعرفان قد المس مني بعض الإخوان فتح الله قلبي وقلبه بنور المشهادة والعرفان في بيان وحدة الذات والصفات والأسماء والأفعال لتخلص السالكين من الشركالخفى والرياء والعجب للأعمال وبيان بعض الحقائق ومقامات القوم الكرام ومشاهداتهم لذى الجلال ولإكرام فأجبته إلى ذلك وإن لم أكن أهلا لذلك مستعينا بالله ومعتمدا عليه في تحقيق للطلوب والمقصود على حسب ما ظهرلي من أقوال أهل المنة والشهود وسميتها الدر النفيس في بيان

وحدة الأفعال والأسماء والصفات والذات ذات التقديس راجيا من الله أن ينفع بها المريدين وأن يجعلها خالصة لوجهه وذخيرة لي ولهم يوم الدين ورتبتها على مقدمه وأربعة فصول وخاتمة وذكرت فيها المسائل السفية المأخوذ من كتب مقدمة فى بيان الأشياء ألتى تبطل السالك وتمنعه من وصول إلى الله تعالى اعلم أيها السالك أنه يجب عليك أن تحافظ على نفسك من جميع المعاصي، سواء كانت معاصي باطنة أو ظاهرة، وأن تخلص نفسك من كل ما يبطل سلوكك، ومن كل ما يمنعك من الوصول إلى الله تعالى. بداية، إن كل ما يبطل السلوك كثير جدًا .ومنها كسل يعني الكسل عن أداء العبادة مع القدرة على فعلها. قال أبو ذر الجهني: من كان لديه خصلة الكسل فلن يحصل على السعادة في الدنيا ولا في الآخرة. ومن بينها فتور يعني الفتور عن أداء العبادة بسبب الانشغال بالدنيا .ومنها ملل بمعنى الشبع من تكرار الفعل مرارًا، رغم أن النتيجة المطلوبة لم تتحقق بعد. وحقًا، إن سبب ذلك كله هو قلة الإيمان وضعف اليقين وعمى البصيرة، واتباع النفس لهواها. ومن الأمور التي تمنع السالك من الوصول إلى الله تعالى، كثيرة ومنها شرك خفى بمعنى نسبة الأفعال التي تصدر من المخلوقات إلى المخلوقات ذاتها، وليس إلى الله تعالى، لأن حقيقة جميع الأفعال أنها تصدر من الله تعالى فقط، والمخلوقات ما هي إلا أدوات أفعال الله تعالى، وتنزه الله عن أن يحتاج إلى أدوات لخلق شيء. ومنها رياء بمعنى إظهار العبادة للناس أو الرغبة في شيء آخر غير الله تعالى من العبادة، حتى لو كانت الجنة .ومنها سمعة بمعنى إخبار الناس بعبادته المخلصة لله تعالى .ومنها عجب بمعنى الإعجاب وهو تعظيم وتكثير العبادة، دون أن يُرى ذلك نعمة من الله تعالى .ومنها سقط أوله ووقوف مع العبادة التي تمنع أي أنه يرى عبادته صادرة من

نفسه، ولا يرى أنها نعمة من الله تعالى عليه .ومنها حجب بمعنى حجب العبادة عن كل نورها وزينتها وحسنها، لأن لكل عمل عبادة نور وزينة وحسن، فيقف السالك عندها عن رؤية زينتها وحسنها، فيفرح بها وينسى الله تعالى، بسبب ذلك .وبحق لا يخلصك أيها السالك من جميع المخاطر المذكورة إلا شهودك ونظرك إلى أن جميع الأفعال كلها صادرة من الله تعالى فقط، كما سيتبين في الفصل الأول من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى .الفصل الأول في بيان توحيد الأفعال

الفصل الأول في بيان توحيد الأفعال، أي توحيد الله تعالى في كل الأفعال. اعلم أيها السالك، أن لا شيء ينجيك من كل تلك المخاطر المذكورة إلا رؤيتك وشهودك أن كل الأفعال التي تحدث في هذا العالم، كلها من الله تعالى/ الرب، سواء كانت تلك الأفعال حسنة في ظاهرها وحقيقتها، مثل الإيمان والطاعة، أو سيئة في ظاهرها وليست في حقيقتها. مثل الكفر والمعصية، لأن الكفر والمعصية في حقيقتها جيدة، لأنها صادرة من الجيد وهو الله تعالى .وكل ما يصدر عن الله تعالى جيد في حقيقته، ولكن سيء في ظاهره، لأن الشرع جاء ليذمها .وكيفية النظر إلى أن كل الأفعال من الله تعالى، هي بأن ينظر ويشهد ويرى بعينيه الظاهرتين وبعين قلبه، أن كل الأفعال تصدر من الله تعالى، وأن نسبتها إلى غير الله تعالى مجازية (ظلال) فقط، وليست في حقيقتها، لأن في حقيقتها، جميع الأفعال من الله تعالى وحده، سواء كانت تلك الأفعال من نفسه أو من غيره. سواء كانت مباشرة أو تولداً. ومعنى الأفعال المباشرة هي تلك المصحوبة بالقدرة الجديدة، مثل حركة القلم في يد الكاتب. ومعنى الأفعال التوليدية، هي التي تنتج عن الأفعال المباشرة، مثل سقوط الحجر من يد القاذف .والدليل الذي يبين أن كل الأفعال تصدر من الله تعالى وحده، وليس من غيره، هو قول الله تعالى في القرآن الكريم: "والله خلقكم وما تعملون ."وقال الشيخ محمد بن الجزولي رحمه الله في شرح 'دلائل الخيرات" :'لا يصدر من أي شخص من عباده، قول ولا فعل بأي قول ولا فعل،

ولا حركة ولا سكون، إلا وقد سبق في علمه وقضائه وقدره، "انتهى". وقوله تعالى: "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" أي لا قدرة على الابتعاد عن المعصية، ولا قوة على أداء الطاعة، إلا بقدرة وقوة الله تعالى، الرب الأعلى العظيم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تتحرك ذرة إلا بإذن الله ."وحينما تستمر في النظر إلى ذلك، وتتحقق به، فستنجو من كل تلك المخاطر المذكورة، وسترى بعينيك الظاهرتين وبعين قلبك أن كل الوجود المجازي يتلاشى تحت نور وجود الله الحقيقي .فإذا حافظت على شهودك ونظرك إلى أن جميع أحوال الأفعال تنبع من الله تعالى، وتعودت على ذلك شيئًا فشيئًا حتى تتحقق به، ثم أصبحت مشاهدًا، أي تنظر دون خلط بين نظرك الظاهر والباطن، فستصل إلى مقام وحدة الأفعال، أي توحيد الله تعالى في جميع الأفعال. وهذا يعني أنه يجب عليك أن تدرك فناء جميع أفعال المخلوقين، سواء كانت من أنفسهم أو من غيرهم، بحيث لا يظهر في الوجود إلا فعل الله تعالى، سواء كان ذلك الفعل حسنًا أو سيئًا .والدليل الذي يوضح ويحقق أن الشر يأتي من الله تعالى هو ما ورد في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك منك" حيث يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من الله أن يعيذه من الشر الذي يأتي منه .إذا لم يكن الشر من الله تعالى، لما طلب النبي صلى الله عليه وسلم اللجوء إلى الله من الشر. ومن ذلك يتضح أن كل الأفعال، سواء كانت حسنة أو سيئة، تأتي من الله تعالى، كما سبق ذكره. وقوله تعالى: "قل كل من عند الله" يشير إلى أن كل من الخير والشر يأتي من الله .وقد ضرب بعض العارفين بالله مثلًا لتقريب الفهم، مع أنه ليس على حقيقته، وهو أن جميع المخلوقات مثل الدمى التي يتحكم فيها الممثل، بحيث لا تملك الدمى أفعالًا مستقلة. وهكذا العباد مع ربهم، حيث أن جميع الأفعال هي من فعل الله تعالى .ومع ذلك، حتى وإن كانت جميع الأفعال هي أفعال الله تعالى، فلا ينبغي لك أن تتجاوز

الشريعة المحمدية. يجب عليك أن تقوم بما أمر به الله تعالى ورسوله، وتبتعد عن كل ما نهيا عنه. لا يجب عليك أن تعتقد أن التكاليف الشرعية قد سقطت. فإذا اعتقدت أن التكاليف الشرعية قد زالت، فستكون قد كفرت وأصبحت زنديقًا، والعياذ بالله من ذلك ..تمسك بالشريعة المحمدية، واعتقد وتفكر بعين قلبك أن جميع الأفعال، سواء كانت جيدة أو سيئة، هي من فعل الله تعالى. عندئذٍ، ستكون خاليًا من الشرك الخفي وغيره من الأخطار المذكورة. لأنك إذا نظرت إلى نفسك على أنها تقوم بأفعال معينة، فإنك لن تكون خاليًا من الشرك الخفي، حتى وإن كنت بعيدًا عن الشرك الظاهر. والشرك الظاهر هو أن تُشرك بالله في وجوده، ولكنك لا تزال غير خالٍ من الشرك .كما قال الله تعالى: "وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون" أي أنهم لا يؤمنون بالله إلا وهم يشاركونه، لأنهم يرون وجودًا آخر غيره ويعتقدون أن الأفعال تصدر من ذلك الوجود .ولهذا قال سيدي عمر الفارض رضي الله عنه :ولو خطرت لي في سوال إرادة – على خاطري سهوا قضيت بردتي اي إذا خطر في قلبي إرادة شيء آخر غيرك، حتى وإن كان عن نسيان، فسأحكم على نفسي بالردة". ومع ذلك، يُقال في كتاب الله إنك مشرك، وتُخرج من كونك مؤمنًا حقيقيًا بسبب ذلك. ولن تُعَد من الذين يسيرون في طريق الإيمان الحقيقي إلا إذا نظرت ورأيت أنه لا يوجد من يعمل، ولا من يحيى، ولا من يوجد في هذا الوجود، سوى الله تعالى وحده. عندئذٍ، ستصبح مؤمنًا حقيقيًا، وستكون خاليًا من الشرك الخفي، وستخرج من أن يُسمَّى الله تعالى في القرآن مشركًا. وستصبح من أهل التوحيد الحقيقي، ممن يختبرون نعيم الجنة في الدنيا. ويجب عليك أن تسعى لذلك، لأن هذه صفة نبيلة للغاية، والتي تثبتك في الآخرة. وعندها، ستحصل على نعيم الجنتين، كما قال الله تعالى" :وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان" (الرحمن: 46)، أي أن الجنتين هما لمن يخاف مقام ربه .الجنة الأولى هي جنة المعرفة بالله تعالى في هذه الدنيا. أما الجنة الثانية

فهي الجنة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، وهي جنة الآخرة التي ستأتي .كما قال شيخنا العلامة بهار العرك، مولانا الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقي المصري رحمه الله: "من يدخل جنة المعرفة في هذه الدنيا، فإنه لا يشعر بالشوق إلى جنة الآخرة بالنسبة إلى الحور العين وقصورها، وليس بالنسبة إلى ما يُحصل في الآخرة من رؤية الله تعالى والقرب من حضرته ومعرفته به ."وبذلك يُفصل بين حال الدنيا وحال الآخرة، لأن ما يُفتح على قلوب العارفين في هذه الدنيا يختلف عما يُفتح في الآخرة .إنما هي جزء من الأشياء التي أعدها الله تعالى لهم في الآخرة، بسبب تكريمهم في الدنيا. والله أعلم .احذر، أن تنسى النظر إلى وحدة الأفعال، التي تقودك إلى النظر إلى جمال الوجود الواجب. واحذر أن تظن أن هناك من يقوم بفعل ما .تنبيه، أيها الإخوة، وهو تحذير لجميع إخوتي: قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره في كتابه "الجواهر الدرر"، نقلاً عن الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: "إن جميع الأكوان هي جدران تحجبنا عن رؤية حق الله تعالى، حيث إن الله تعالى هو الفاعل، ولكن خلف هذه الحجب، لا تمنعنا من رؤية الله تعالى ."ومثاله كظل الخشب في الماء، الذي لا يمنع مرور القارب، إنما الذي يمنع هو ظننا به ونظرنا إليه .فمن يكشف الله عنه هذا الحجاب، سيرى أن الله تعالى هو الفاعل الحقيقي لكل الأفعال. أما من لم يُكشف عنه الحجاب، فسيظل محجوبًا بالأكوان عن رؤية الفاعل الحقيقي، وهو الله تعالى . كل مذهب من المذاهب حول أفعال العباد ينقسم إلى أربعة** .1 :المذهب الأول**: هم قوم لا يعرفون أن الله تعالى هو الفاعل لكل الأفعال، بل يعتقدون أن كل فعل من أفعال العباد هو من فعل العباد أنفسهم. ويعتقدون أن قدرة العبد الجديدة تؤثر في أفعاله الجديدة. وهذا هو مذهب المعتزلة، وهو مذهب بدعي وفاسق** .2 .المذهب الثاني**: هو مذهب الجبرية، حيث يعرفون أن جميع الأفعال تأتي من الله تعالى، ويؤكدون أن كل فعل هو من فعل الله تعالى. ومع

ذلك، فإنهم لا ينسبون الأفعال إلى العباد، لأنهم يظنون أن هذا سيقلل من مقام الكمال. لذا، فإنهم ينحرفون عن طريق الشريعة بسبب عدم نسبتهم الأفعال إلى العباد، وهذا اعتقاد زنديقي** .3 .المذهب الثالث**: هو مذهب الأشعرية، حيث يعرفون أن جميع الأفعال تأتي من الله تعالى، ولكن يعتقدون أن للعباد جهدًا واختيارًا في أفعالهم. ويعتبرون أن الجهد والاختيار هما سبب الأفعال، لكن هذين السببين لا يؤثران على الأفعال الجديدة، بل التأثير الحقيقي هو من الله تعالى وحده. وهذا هو المعتقد الأشعري، وهو معتقد يُعتمد عليه، ويُعتبر سالمًا من مخاطر الدنيا والآخرة. لكنهم لا يصلون إلى مرتبة الكشف، لأنهم يظنون أن الجهد والاختيار هما من العباد، ولا يرون أن الأفعال كلها من الله تعالى .وبذلك، فإن جميع الطوائف الثلاثة التي تم ذكرها هي في حالة غشوة (تشويش)، حيث توجد حاجز يمنعهم من رؤية وحدة الأفعال دائمًا. فهم محجوبون عن الوصول إلى مقام الكشف والمشاهدة والمكالمة** .4 .المذهب الرابع**: هو مذهب أهل الكشف، أي الأشخاص الذين يُكشف عنهم الحجاب، حيث يرون أن جميع الأفعال تأتي من الله تعالى، بينما يتصرف العباد كأدوات. مثال ذلك هو القلم الذي يكتب الحروف؛ فالكاتب هو الذي ينتج الحروف، والقلم هو مجرد أداة. وبالتالي، العباد يشبهون القلم في عدم قدرتهم على الفعل الحقيقي، لأن الله تعالى هو الذي يخلق الأفعال .كما قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني، نقلًا عن الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في "الفتوحات المكية" (الفصل 420)، إن جميع الأعمال هي من الله تعالى، ولكن الله تعالى ينسب الأعمال إلى العباد لأنهم في موضع تحمل الثواب والعقاب. في الواقع، الأفعال تأتي من الله تعالى، ولكن عندما نكون في حالة حجاب، نظن أن الأعمال تأتي منا. عندما ندخل إلى حضرة الإحسان وينكشف الحجاب، سنرى أن جميع الأفعال تأتي من الله تعالى، وليس من العباد .ثم، عند الوصول إلى المشاهدة، يجب أن نكون حذرين من الانزلاق عن الطريق الصحيح

في فهمنا للأفعال، حيث يجب علينا أن نلاحظ أن ما نسبه الله تعالى لنا من أفعال يجب أن يُفهم بتواضع ومعرفة أنه هو الفاعل الحقيقي. وهذا يتماشى مع قول الله تعالى في القرآن .ما أصابك من حسنه فمن الله وما أصابك من شيئة فمن نفسك .وقال الشيخ يوسف أبو زهره المصري، في أثناء تدريسه في المسجد الحرام، أنه لا يجب القول بأن الشر يأتي من الله تعالى إلا في مقام التعليم. كما قال الشيخ ابن حجر في شرحه على الأربعين، ضمن دعاء الافتتاح، فإن الشر لا يُنسب إلى الله تعالى من حيث التعليم، لأن هذا يُعد عدم أدب. لا يجب أن يُقال أن الله تعالى هو من خلق الكلاب والخنازير ،ولويخلق أي شيء دون استثناء، لأن هذا ينافي الأدب في نسب الأعمال إلى الله تعالى .وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني، رحمه الله، في محادثة مع شيخه سيدي علي الخواص، عن حقيقة الجهد في المذهب الأشعري، أن الحقيقة هي أن الجهد هو تعلق الإرادة الممكنة بفعل شيء ما، ثم تتحقق تقديرات الله عند تعلق الإرادة. وهذا يعني أن الجهد من الممكنات يُفهم من حيث سعي الإنسان لتحقيق منفعة بعد الإرادة والتقدير الإلهي .قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره، وقد سمعت عنه، عن سيدي علي الخواص رضي الله عنه: "إنه من الواجب على العبد أن يعرف أنه لا تأثير للمخلوقات في إحداث أي شيء من الأمور سوى الأحكام فقط." فعليك أن تفهم هذا، لأن معظم الناس لا يمكنهم التمييز بين الحكم والأثر .وقال الشيخ أيضاً، وهو سيدي علي الخواص رضي الله عنه: "إن الحقيقة في هذا الأمر هي أن حق الله تعالى، عندما يريد أن يحدث حركة أو معنى من كل الأعمال التي لا توجد إلا في محتواها، فإنه من المستحيل أن تقوم بذاتها دون وجود مكان يبرزها ويظهرها. لذا، لا بد من وجود محل (مكان) يعبر عن وجود هذه الأعمال، أي أن الأعمال لا تقوم بذاتها. وبالتالي، فإن المحل (المكان) الذي يظهرها هو العبد الذي يُحكم عليه بإحداثها. وهذا جائز، مع العلم أنه لا يمكن أن يكون له أثر في نهايته انتهى قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني

قدس الله سره: "سمعت من أخي أفضال الدين رحمه الله تعالى قوله: 'إنه لا يمكن لأي ممكن أن تكون له القدرة إلا بقبول الأثر الإلهي عليه، لأن هذه الصفة، وهي القدرة، هي صفة من صفات الإله الواحد، وهي حالة القوة التي تثبت القدرة للممكن بدون دليل.' وأضاف الشيخ أفضال الدين رحمه الله تعالى قائلاً: 'نحن نتفق مع الأشاعرة الذين يثبتون القدرة للعبد وينفون عنه الفعل '.وأضاف الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره قائلاً: 'وذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في الفصل المئة والعشرين من "الفتوحات المكية": 'إن إثبات القدرة للممكن ينفي الفاعل عنه، وهذا من أصعب المسائل لأنه يؤدي إلى حالة الفعل.' وقال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه أيضاً: 'لم يفتح الله تعالى لي بنزع الغموض عن هذه المسألة، أي حالة الفعل، إلا في الليل عندما كتبت هذا المكان في سنة الهجرة 630، وقد كان صعباً عليّ أن أميز بين ما تقوله أهل السنة والمعتزلة. ثم منحني الله التوفيق وكشف لي بداية خلق المخلوقات التي لم يسبقها شيء سوى الله تعالى "'. قال الله تعالى فِي سِرِّي، أَفَتَكُونُ الأَعْمَالُ تُورِثُ الغُمُوضَ وَالْحَيْرَةَ؟ فَسَأَلْتُ رَبِّي، فَقَالَ: كَمَا تَرَى مِنْ كُلِّ جَدِيدٍ، لَيْسَ لِي أَحَدٌ فِي ذَلِكَ، وَلا مِنْ خَلْقِي، فَأَنَا الَّذِي أَخْلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى صِفَتِهِ، لَيْسَ بِالأَسْبَابِ، بَلْ بِعَمَلِي أَجْعَلُ النَّفْخَ فِي عِيسَى وَالتَّقْوِيمَ فِي الطَّيْرِ. فَسَأَلْتُ رَبِّي، إِذَا كَانَ هَكَذَا، فَكُلُّكُمْ مُخَاطَبٌ بِقَوْلِي: افْعَلْ وَلا تَفْعَلْ. فَقَالَ لِي: إِذَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِي، فَلَازِمٌ عَلَيْكَ أَدَبٌ، لِأَنَّ هَذِهِ الْحَضْرَةَ لَا تَقْبَلُ نَفْيَ أَفْعَالِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ".{قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: "إذا شهدت ذلك، إن شاء الله تعالى، فإنه سيوصل إلى الله تعالى، لأن مقام توحيد الأفعال هو مقام أدنى من جميع مقامات العارفين. مقام توحيد الأفعال هو درجة من درجات الوصول إلى الله تعالى، لأن الطريق إلى الله تعالى يتضمن أربع درجات، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في نهاية الخاتمة. 'كل' هي صفات الثنائية الإلهية، و'كل' هي وظيفة الألوهية. هذا المقام هو

الذي يبدأ الله تعالى بمنحه للسالِك أو لغيره، مثل المجذوب، وهو الشخص الذي يأخذه الله تعالى فجأة ويعلم عن ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله دون القيام بالعبادات، ودون تلقي التعليم من الشيخ، ودون إجازة من المشايخ ".قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: "مقام توحيد الأفعال هو نتيجة السلوك وثمارها، أي أنه ثمرة من ثمرات السالك. فالسالك هو الشخص الذي يجتهد بصدق في عبادة الله تعالى ويستفيد من إجازة الشيخ دون أن يعيق ذلك عن أداء العبادة أو يتجاوز ما أمره به الشيخ من عبادات وأمور أخرى. أما العارف، فهو الذي يعرف الله تعالى ويميز بين الخالق والمخلوق ويشهد كل ما سبق. وهذا المقام هو الأول من مقامات العارفين، ويقود إلى المقام الذي يليه، وهو مقام توحيد الأسماء، الذي هو المقام الثاني من مقامات العارفين ".الفصل الثاني: توحيد الأسماء الفصل الثاني في بيان توحيد الأسماء، والذي يعني إفراد الله تعالى بكل أسمائه، أي إفراد من يُسمّى .أما كيفية توحيد الله تعالى بكل أسمائه، فهي أن تنظر بعيني رأسك وتشهد بعيني قلبك أن جميع الأسماء تعود إلى الواحد، الله تعالى .أي أن كل ما يُسمى في هذا الكون يُظهر الأسماء ويطلب وجود المسمى، ولكن في الحقيقة لا وجود لغير الله تعالى وحده. فوجود كل شيء في هذا العالم هو مجرد خيال ووهم عند نسبته إلى الله تعالى. ولهذا، فإن جميع الأسماء تعود إلى ما هو موجود، وهو الله سبحانه وتعالى. ووجود الله قائم على جميع الأسماء، ويظهر من خلاله كواحد، أي أن كل الأشياء تتجلى وتظهر في ذات واحدة، دون اتحاد أو حلول .الله تعالى منزه عن ذلك، فهو أعلى وأسمى من أي تصور أو مثال، ويستعين بعض العارفين بالله بهذا المثال للاقتراب من الفهم .أما الله سبحانه وتعالى فهو منزه وعالٍ كما يضرب المثل، أي كالكأس الذي يكتب عليه نصفه باللون الأحمر ونصفه باللون الأصفر ونصفه باللون الأخضر، ثم يُعرض بين الأرض وضوء الشمس الساطع. فكيفما ترى ضوء الشمس يكتب على الأرض بألوان الأسماء الموجودة في الكأس، مع أن ضوء الشمس لا يتحرك ولا

ينفصل عن ذات الشمس، وعلى الرغم من ذلك، يظهر ضوء الشمس بكل صفاته، في حين أن الشمس واحدة .تكلموا عن هذا المثل بكلام كامل، عسى أن يتفضل الله عليكم في ما تتوصلون إليه، ويوافق ذلك ما ضربناه من الأمثلة. بعد ذلك، أيها الإخوة العارفون، إذا تحققتم من هذا المقام، فإن التجلي الحق تعالى يظهر عليكم من خلال كشف الحجب، ويبين من خلال اسمين، يظهران لك أن كل المظاهر تنقرض في ذات الوحدة لله تعالى .عندما يتجلى الله تعالى بأسمائه على عبده، فإنه يرى أن جميع هذه الصفات في الحقيقة هي ذات الله تعالى. بمعنى أن هذه الصفات تبدو وكأنها تتجلى بواسطته، وتستمر بوجوده وبقائه، وأنه لا وجود منفصل لهذه الصفات بمفردها ولا قدرة لها على التمييز بين أي شيء منها. فكل هذه الصفات هي خلق الله تعالى، أي أنها تظهر في تجليات الله، وتعتمد على الله .ويُنظر إلى الله تعالى على أنه حقيقة كل هذه الصفات، كما في قوله تعالى :فأينما تولوا فثم وجه الله أي أن أينما توجهت بوجهك أو قلبك أو روحك أو عقلك، فإن وجود الله هناك) .الشهادة) في هذه الحالة، يخرج من لسان العبد قول لا يرضاه الشارع، وهو بسبب الحجاب عن رؤية المظاهر نتيجة رؤية الوجود المطلق لله. كما قال الشيخ عبد الكريم الجيلي قدس الله سره: "إن العبد يُحجب عن رؤية المخلوقات بسبب رؤية الحق تعالى، مما يجعله يقول إنه لا يوجد في هذا الوجود سوى وجود الله تعالى". وهذا يشبه حالة السكر والغيبوبة التي أصابت الحلاج، حيث تكون أقوال الشخص السكران غير قابلة للاعتماد .وفي هذا السياق، قال سلطان الأولياء مولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره: "لو كان للحلاج وقت، لأخذته بيدي وأوقفته عن الناس الذين يريدون قتله ."أما الأول من الاسمين هو اسم "الجَامِع"، أي الذي يجمع كل المظاهر، وهو يشير إلى رؤية الكثرة في الوحدة، أي أن كل الكون هو واحد في ذات الله تعالى، لا شيء غيره. والثاني هو اسم "المانِع"، أي الذي يمنع ظهور المظاهر الأخرى، وهو يشير إلى أن جميع المظاهر تنبع من

ذات الله تعالى فقط .نتيجة ذلك، أن هذين الاسمين يحققان أن جميع المظاهر تعود إلى الله تعالى، ولا تخرج عن ذات الله تعالى، كما في قوله تعالى:وَلله الأَمْرُ إِلَيْهِ تُرْجَعُون عندما ترى أن كل ما هو كريم يأتي من الله تعالى، وأن ما يظهر في العبد هو تجلي لاسم الله "الكريم"، وأيضاً عندما ترى شخصاً صابراً على مصيبته، فتشهد وتدرك أن الصبر أيضاً من الله تعالى، ويظهر في العبد كظاهرة لاسم الله "الصبور". إذن، كل صفة أو اسم يظهر في العالم هو في الحقيقة تجلي لأسماء الله تعالى، مثل اسم "الكريم" واسم "الصبور". كل ما يظهر من أسماء وصفات في الخلق هو تجلي لأسماء الله تعالى .قال بعض العارفين بالله" :لا توجد لله تعالى صفة تقوم بذاته وتزيد عليها كما في الصفات المعنوية، بل ما له هو الأسماء فقط. يستدلون على ذلك بدليلين: أحدهما نقلي، وهو القرآن والحديث. لا يوجد في القرآن والحديث ما يدل على أن الله تعالى يمتلك صفات، بل ما جاء فيهما هو الأسماء فقط. كما قال الله تعالى"** :وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا **"فالله تعالى يحدد نفسه بالأسماء فقط، ولا يصف ذاته بصفات. وأيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم"** :إِنَّمَا تَدْعُونَ مَنْ هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ"**ا وكلاهما من العقل، حيث إن الله تعالى إذا كان له صفات لكان مجهولًا، لأنه لا يوصف بشيء إلا ما هو مجهول. فإن الله تعالى هو الأكثر معرفة من جميع المعارف ولا يحتاج إلى صفات تعرفه، وهو سبحانه وتعالى منزَّه عن أن يوصف بالصفات التي تتطلب معاني من هذا القبيل. وكيف يمكن وصف الله تعالى وهو ينزه نفسه عن الصفات، كما هو مذكور في القرآن والحديث.(الشاهد) هذا هو مقام توحيد الأسماء، وهو المقام الثاني من مقامات العارفين الذي يمنحه الله تعالى للسالكين أو لغيرهم مثل المجذوب، وهذا المقام هو النتيجة والفائدة والثمرة للمقام الأول، وهو مقام من ينظر دائمًا إلى وحدة الأفعال، وهو الذي يوصل الإنسان إلى المقام الأعلى وهو توحيد الصفات، وهو المقام الثالث من مقامات العارفين ..الفصل

الثالث توحيد الصفات الفصل الثالث في بيان توحيد الصفات، أي توحيد الله تعالى في جميع الصفات التي تقوم بذات الله، وهو عبارة عن فناء جميع صفات المخلوقات سواء كانت صفات نفسها أو صفات غيرها، كلها تفنى في صفات الله.كيفية النظر والمشاهدة لذلك هي بأن تنظر وتشاهد بعين قلبك وباعتقادك أن جميع الصفات التي تقوم بذات الله، مثل القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، كلها صفات الله تعالى، لأنه لا يوجد ذات تتصف بكل هذه الصفات في حقيقتها إلا الله، ذات الله تعالى وحدها. وتُنسَب هذه الصفات إلى المخلوقات على سبيل المجاز وليس في حقيقتها، وإنما تكون هذه الصفات قائمة في المخلوقات باعتبارها مظاهر لصفات الله تعالى .فإذا تحققت رؤيتك بذلك، فستفنى جميع صفات المخلوق في صفات الله تعالى، أي أنه لا يسمع إلا بسمع الله، ولا يرى إلا ببصر الله تعالى، ولا يعلم إلا بعلم الله تعالى، ولا يعيش إلا بحياة الله تعالى، ولا يتكلم إلا بكلام الله تعالى، وهكذا تكون باقي صفاته كلها بصفات الله تعالى.والدليل على أن العبد لا يملك هذه الصفات بنفسه وأن ما يملكه هو مظهر لصفات الله تعالى هو قول الله تعالى في الحديث القدسي :وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيْ بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. ولايَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِيْ بِهَا وقلبه الذي يضمر به عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى يقول: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه) ".لاحق) كيفية تجلي الصفات هي أنك تنظر إلى حق الله تعالى، بأن العبد يسمع بالله، فيفنى عن كل حالة من حالات السماع بنفسه. ثم إذا تحقق تجلي

صفة واحدة في قلبك، تنظر إلى الصفات الأخرى واحدة تلو الأخرى، حتى تفنى جميع الصفات تدريجيًا، مثل البصر والكلام والعلم والإرادة والعطاء والمنع. فلا ترى نفسك متصفًا بتلك الصفات، بل متلقية من صفات الله تعالى وحدها. بعد أن تفنى جميع الصفات الأخرى، تتجلى عليك صفات الله، فتدرك أنه هو الحي، فيفنى عنك إحساس الحياة بنفسك، فيتجلى لك أنه لا حي إلا الله تعالى وحده. فإذا وصلت إلى مقام الفناء هذا، تصبح باقياً بصفات الله، وتفوز حينها بالمعرفة الحقة، فتعرف الله المعرفة اللائقة بكماله، وتصبح في تلك اللحظة فانيًا في صفات الله وباقيًا بصفات الله. فيعرفك الله تعالى حينها بأسرار صفاته الجليلة) .لاحق) في مقام البقاء، أي مقام توحيد الصفات، تكمن النهاية المأمولة والمقصودة والمطلوبة. في مقام توحيد الصفات هذا، يصل غالبية الأنبياء والأولياء إلى نهايته، ولا يتجاوز هذا المقام إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن هم تحت قدميه من الأنبياء والأولياء .
)لاحق) فائدة التجلي هي رؤية الصفات تدريجيًا، أي واحدة تلو الأخرى، لأن بعض تجليات الصفات أشد من بعضها الآخر، ولأجل التمكين والثبات بالصفة الواحدة، وكلما تمكّن وثبت بالصفة الواحدة، حصل منها القوة والزيادة حتى يتمكن من تحمل تجلي الذات، لأنه لا يقدر أحد على تحمل تجلي الذات قبل التمكين والثبات في تجلي الصفات في القلب. فعندما يصل الشخص إلى هذا المقام، يصبح خليفة الله تعالى في الأرض، ويجعله الله خلفًا لتنفيذ أحكامه على عباده، كما كان النبي آدم عليه السلام خليفة على جميع الخلق .يقول الله تعالى في القرآن: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" أي عندما قال ربك للملائكة إني أريد أن أجعل في الأرض خليفة، يعني من يخلفني في تنفيذ حكمي في الأرض. فلا يجعله خليفة إلا بعد أن يعلمه جميع الأسماء .كما يقول الله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها" فقد علم الله تعالى نبيه آدم جميع الأسماء. وأيضًا أراه في ذلك الوقت ما هو ضال، وعرفه بجميع الأمور .سواء كان ظاهرًا أو خفيًا بتعليم من الله تعالى لكونه خليفته،

كما قال بعض العارفين بالله: "من عرف الله لا يخفى عليه شيء" أي من عرف الله تعالى حق المعرفة لن يخفى عليه شيء. وأيضًا يمنح الله تعالى له العلم اللدني، وهو العلم الذي يلهمه الله تعالى إلى قلب عبده بدون واسطة تعليم من الشيوخ، وهو علم ثابت لا يمكن أن يُفقد أو يُنسى. وهكذا الشخص الذي يمتلك هذا العلم يُسمى العالم الحقيقي .كما قال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره: "ليس العالم هو من يحفظ علمه من الكتاب، فإذا نسي ما حفظه أصبح جاهلاً، بل العالم الحقيقي هو الذي يأخذ علمه من ربه في أي وقت يشاء بدون سبب حفظ أو دراسة، وهذا الشخص يُسمى العالم الرباني، وهو المشار إليه في قول الله تعالى: 'وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا' أي علمًا من عندنا بدون واسطة تعليم من المخلوقين. وأما بعض العلوم التي تُكتسب بواسطة التعلم من المخلوقين فلا تُسمى علمًا لدنيًا، بل العلم اللدني هو الذي يُفتح في سر القلب بدون سبب خارجي يحصله ."قال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره موجهًا كلامه إلى علماء الظاهر خصوصًا: "أنتم تأخذون علمكم ميتًا عن ميت، ونحن نأخذ علمنا من الحي الذي لا يموت." انتهى. هذا ما ذكره الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين". في هذا المقام، يرى الشخص كل الأمور سواء كانت ظاهرة أو باطنة، والتي تتحقق له في الخارج .قال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره موجهًا كلامه إلى علماء الظاهر خصوصًا: "أنتم تأخذون علمكم ميتًا عن ميت، ونحن نأخذ علمنا من الحي الذي لا يموت." انتهى. هذا ما ذكره الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين". في هذا المقام، يرى الشخص كل الأمور سواء كانت ظاهرة أو باطنة، وتنفتح له حقائق الأشياء بنور واضح يمنحه الله تعالى، فلا يخفى عليه شيء من هذا العالم مهما كان صغيرًا مثل الذرة، بما يتناسب مع حالهم وعطاء الله تعالى، ولا يمكن لأحد أن يمنع هذا العطاء، كما هو مذكور في القرآن: "كلًّا نمدّ هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا ".وأيضًا في هذا المقام، يسمع الشخص كل النداءات سواء كانت بلسان ظاهر أو بلسان باطن، أي تعبير عن

حضور القلب، سواء كان في مكان بعيد أو قريب، حتى لو كانت خلف جبال قاف، فإنه يسمعها، لأن جميع العالم قريب منه. وقد ورد في الحديث أن جميع العالم عند أولياء الله تعالى مثل القدم، بفضل الله تعالى ورحمته، فاجتهد يا أخي في طلب ذلك حتى تحصل عليه .وكن حريصًا على طلب الدعاء من الله سبحانه وتعالى، فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب لدعاء من يسأله، كما يقول الله تعالى: "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ."(لاحق) يختلف العلماء في مسألة ما إذا كانت الصفات هي ذاتها أو شيء آخر غيرها. يقول علماء الأصول، أي أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم، إن جميع الصفات قديمة مثل الذات، وقدمها مرتبط بقدم الذات، ووجودها مرتبط بوجود الذات، أي أنها لا تنفصل عن الذات بل هي معانٍ قائمة بالذات، لا تضاف إليها. لذا، فإن الله تعالى قادر بقدرته، مريد بإرادته، عليم بعلمه، حي بحياته، سميع بسمعه، بصير ببصره، ومتكلّم بكلامه .ويقول علماء التصوف، أي العارفون بالله قدس الله أسرارهم: "إن جميع الصفات هي ذاتية للذات، لذا فإن الله تعالى قادر بذاته، مريد بذاته، عليم بذاته، سميع بذاته، بصير بذاته، ومتكلّم بذاته، وليس بشيء آخر". وهذا ما قاله شيخنا العارف بالله مولانا الشيخ صديق بن عمر خان تلميذ المرحوم القطبي الرباني مولانا الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان المدني رضي الله عنهما .القول الذي يقول بأن الصفات هي ذاتية للذات ولا شيء آخر غيرها، هو قول يعتمد على الكشوفات والمشاهدات. فإن هذا القول يثبته أهل التصوف من خلال الكشوف والمشاهدات، لأنهم دائمًا يشاهدون الله تعالى، فيكشف الله تعالى لهم حجاب الصفات، فلا يرون إلا الصفات قائمة بالمعنى القائم بالذات. لذا، فإن ما يرونه ويشاهدونه هو أن الصفات قائمة بالذات فقط. ويستدلون بالعقل أيضاً، لأنه لو كانت الصفات غير الذات، لكان الله تعالى مجهولاً يحتاج إلى صفة تعرفه، والله تعالى يتعالى عن ذلك، ولكنه أعلم من كل معرفة .أما القول الذي يقول بأن الصفات غير الذات وتزيد عليها، فهو يعتمد على المنهج العقلي

والتصورات العقلية. لأن الاسم المشتق، مثل "قادر"، يعني أن هناك شيئاً مشتقاً منه، مثل القدرة. فالقدرة هي صفة تختلف عن الذات، ولكنها لا وجود لها إلا بوجود الذات، وقديمها مرتبط بقدم الذات أيضاً .وما شابه هذا القول في اعتقادنا قبل الوصول إلى مقام المكافحة، أي المواجهة والمشاهدة .أما عندما يصل المرء إلى مقام المكافحة والمشاهدة، فلا يُرى هناك أن هذه الصفات هي شيء آخر غير الذات. يُمثّل هذا بمثال مثل شخص يُطلب منه معرفة حجر الأسود، ويُقال له عن هذا الحجر إنه شديد السواد. فيعتقد الشخص الذي لم يرَ الحجر بعد أن السواد الذي وُصف به الحجر هو حقيقة قائمة عليه، فيتصور أن الحجر أسود بناءً على هذه الأوصاف العقلية. ولكن عندما يصل إلى مكة ويشاهد الحجر الأسود، يرى الحقيقة كما وُصفت، ويكتشف أن السواد ليس شيئًا قائمًا بذاته ولكن هو جزء من ذات الحجر الأسود. وبذلك يزول اعتقاده السابق بأن السواد هو صفة قائمة بذاتها، لأن المشاهدة أكدت أن السواد هو جزء من طبيعة الحجر الأسود ولا شيء آخر .ففهم هذا، والسلام .سؤال: ما الفرق بين مذهب أهل التصوف ومذهب المعتزلة؟ الجواب: إن مذهب المعتزلة يقول بأن الصفات هي عين الذات ولا شيء غيرها، وأنها لا تزيد على الذات، وهذا اعتقادهم بالاتحاد، بمعنى أن الصفات تندمج مع الذات بشكل يتحدان، كما يتم مزج السكر بالماء. والله تعالى أعظم من أن يُفكر في مثل هذا التصور الباطل والمبتدع والفاسق، وذلك باختلاف عظيم) .التالي) أن مقام توحيد الصفات هو مقام ثابت وراسخ، وعندما تنتهي جميع تجليات الصفات في القلب، يُمنح الله تعالى العبد قوة تمكنه من تحمل تجليات الذات إذا شاء الله تعالى. وهذا المقام هو الذي يرفع العارف إلى مقام أعلى، وهو مقام توحيد الذات، الذي يُعد المقام الرابع من مقامات العارفين. والسلام .فصل في توحيد الذات الفصل الرابع ببيان توحيد الذات، وهو الإيمان بأن الله تعالى واحد في ذاته، وهذا هو أعلى المقامات التي لا يوجد مقام أعلى منها، ولا يستطيع أي مخلوق

أن يصل إلى معرفتها بشكل كامل. إن هذه المعرفة هي النهاية في مشاهدة ورؤية العارفين، وهي المحطة النهائية في رحلتهم. وكل لذة تأتي إلى قلب الإنسان تنتهي إلى هذا المقام. لا يستطيع أي مخلوق أن يعرف شيئًا أعلى من هذا المقام، حتى الأنبياء المرسلين والملائكة المقربين. كما قال الله تعالى في سورة البقرة: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ .{

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلكم فِي ذَاتِ اللَّهِ أَحْمَقُ كُلٌّ" (وهو بمعنى أنه لا يمكن لأي مخلوق أن يعرف كنه ذات الله تعالى .(ويقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس سره في كتاب "الجواهر والدرر" من ترجمة كلمات الشيخ علي خواص رضي الله عنه: إن المعرفة الحقيقية لذات الله تعالى لا يمكن أن يدركها أو يشعر بها أي مخلوق، لأن الله تعالى ليس عيناً يمكن إدراكها بالعقل، وليس عيناً يمكن مشاهدتها بالقلب والعين. بل هو وراء ذلك، وليس عيناً يمكن أن يعرفها الناس أو يجهلها .ومن عرف ذلك، يجب عليه أن يعبد الذات المقدسة الغيبية، وهي العين المشهودة، وهي العبادة الكاملة. والله أعلم .ولا يصل إلى مقام توحيد الذات هذا إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأما الأنبياء والأولياء من دونه فإنهم تحت مقامه، لأن الله تعالى لم يخلق شيئاً من ذاته إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما في الحديث الذي سيأتي في الخاتمة .الكيفية التي يتم فيها توحيد الذات لله تعالى هي أن يُنظر بعين الرأس وعين القلب إلى أنه لا يوجد شيء في هذا الوجود سوى الله تعالى، أي أن كل شيء سيفنى بما في ذلك ذاتنا وكل ذات أخرى من مخلوقات تحت ذات الله تعالى، وكأنما لا يوجد شيء إلا الله تعالى وحده. إن وجود كل شيء آخر من المخلوقات ليس وجوداً مستقلاً، بل هو قائم بوجود الله تعالى، ولا يوجد بمفرده. بل وجود غير الله تعالى هو خيال أي أنه ليس له حقيقة مستقلة في مكان الوجود، وهو وهم أي أنه تصور وباطل إذا نسب إلى وجود الله تعالى.قال شيخنا العارف بالله الشيخ الصديق بن عمر خان رحمه الله: "إن جميع وجود غير الله تعالى يشبه وجود ما نراه في المنام، ليس له حقيقة، وعندما نفيق

يزول كما يزول وجود غير الله تعالى عند الموت. عندئذ فقط نستفيق ونرى أنه ليس له وجود حقيقي". كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا". أي أن جميع الناس نيام، وعندما يموتون، يستفيقون .أما الموت، فإنه ينقسم إلى نوعين وفق اصطلاح أهل التصوف:أولاً: الموت الحسي، وهو انفصال الروح عن الجسد.ثانياً: الموت المعنوي، وهو ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "موتوا قبل أن تموتوا" ومن أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض، فعليه أن ينظر إلى أبي بكر، وذلك إشارة إلى موت النفس الأمارة وإلى أن كل ما هو غير الله تعالى فناء وليس له حقيقة.فوجود الله تعالى هو الوجود الحقيقي بالنسبة لكل شيء آخر. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل شيء ما خلا الله باطل"، أي أن كل شيء آخر غير الله تعالى هو باطل.والدلائل على ذلك كثيرة، مثل قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}، والذي يعني أن كل ما هو موجود من المخلوقات أو الأشياء التي هي في طور الزوال ستفنى في الماضي والحاضر والمستقبل، ويبقى فقط وجه الله الذي يتمتع بالعظمة والكرم .وقال الله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}، أي أن كل شيء يزول في الماضي والحاضر والمستقبل، إلا ذات الله تعالى التي لا تذوق الفناء.وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ"، أي أن الله تعالى كان موجوداً عندما لم يكن هناك شيء آخر معه. وأضاف العلماء: "وَهُوَ الآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ"، أي أن الله تعالى الآن على ما كان عليه في الماضي.وقال النبي صلى الله عليه وسلم، كما رُوي عن الإمام الترمذي: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ لَفَارَقَتْ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ} حتى نهاية الآية". أي أن كل الوجود بالنسبة لوجود الله تعالى الحقيقي هو خيال ووهم وتجريد، لأن الوجود بين العدمين هو أيضاً عدم، وليس له حقيقة مستقلة بذاته، بل هو قائم بوجود الله تعالى (يعني أن الله سبحانه وتعالى هو

الوجود الذي لا يحتاج إلى أي مخلوق وهم يحتاجون الى الله) .وقال العارف بالله مولانا السيد عبد الله بن إبراهيم الميراني رحمه الله في "تحفة المرسلات": "إن كل ممكن موجود في الخارج، وجوده هو عين وجود الحق سبحانه وتعالى، فالوجود الظاهر للممكن يختلف عن الله تعالى، ووجود الممكن الحقيقي هو عين وجود الله تعالى، ومثاله مثل الرغوة والأمواج والجرة المصنوعة من الماء المجمد، كلها تعود إلى الحقيقة المائية، وكلها غير حقيقية بذاتها ولكنها تابعة لوجود الماء".وقال بعض العارفين: "إن هذا العالم هو نسخة من الحق تعالى"، وقال آخرون: "إن هذا العالم هو مرآة للحق تعالى".كما ذكر الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر قدس الله سره في "فصوص الحكم ."وإذا كان الحق سبحانه وتعالى هو "الوقاية" للعبد في وجه من الوجوه، أي حالة الحق تعالى يظهر في مرآة العبد، فإن العبد يصبح باطناً. وإذا كان العبد هو "الوقاية" للحق تعالى في وجه من الوجوه، أي حالة العبد تظهر في مرآة الحق تعالى، فإن الحق تعالى يصبح باطناً.فقل أيها السالك في كل ما هو موجود الذي يظهر: "ما تريد بكل اعتبار يختلف".إذا أردت، فقل إن المخلوق الظاهر في مرآة الحق تعالى باعتبار حالة العبد كوقاية لوجود الحق تعالى، أي نظر إلى الكثرة في الوحدة. وقال الشيخ سهامي قدس الله سره إنه قدّم هذا الاعتبار لأنه أصعب في فهمه للعقول العامة.وإذا أردت، فقل إن هذا هو الحق تعالى، أي صورته التي تظهر في مرآة المخلوق باعتبار حالة الحق تعالى كوقاية لعبده، أي نظر إلى الوحدة في الكثرة.وإذا أردت، فقل إنه الحق تعالى والمخلوق معاً، باعتبار ظهور كل واحد منهما في مرآة الآخر، وعدم التمييز بين المرآتين لأن جميع الاعتبارات ثابتة في علم الحق تعالى الذي لا يتغير بميول الوجوه المختلفة.وإذا أردت، فقل إنه ليس الحق تعالى في كل وجه، وليس المخلوق في كل وجه، باعتبار الفرق بين المرأتين في وجه واحد، أي الوجه الذي يميز العلم عن الذات .قال الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله سره: "مقصود حالته ليس هو الحق تعالى في كل وجه، بل هو اعتبار الحق تعالى

في وجه حالته موجود فقط، ومقصود حالته ليس هو المخلوق في كل وجه، بل هو كذلك باعتبار المخلوق في وجه حالته. فإذا أردت، يمكنك أن تقول بدهشة مستغرقًا، مثلما تقول أنه لا يُعرف أيّ الظاهر وأيّ الباطن، لأن الظاهر في المرآة يصبح باطنًا باعتبار حالة ذات المرآة عند النظر من زاوية أخرى .فإذا عرفت وفهمت كل الأمور المتعلقة بهذا الوجه، فقد تبين لك، أيها السالك، ما يُطلب من كل مؤمن من درجات الوجود باعتبار ذاته وظاهره، وإذا كان اليقين يوجب تحديدًا، فلا بأس بذلك .والدليل الذي يُظهر أن التحديد ليس مخالفًا للحق تعالى، هو أنه إذا لم يكن التحديد جائزًا على الله تعالى، لما أخبر الرسل بتحديد أي الأمور التي وردت من الله تعالى حول تجلي ظاهره بتحديد الحق تعالى في كل صورة .قال الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله سره: "المقصود من التحديد الجائز على الله تعالى هو في ظاهره، حيث أن الحق تعالى لا يتغير في باطنه عن ما هو عليه من العظمة والمجد، انتهى قال الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله سره: "من خصائص الأحاديات أن الله تعالى يتجلى يوم القيامة لجميع المخلوقات بصورة يُستبعدها العقل، فيقول: *"أنا ربكم الأعلى"*. بمعنى: أنا ربكم المتعالي. فيجيبون: *"نعوذ بالله منك"*. بمعنى: نلتجئ إلى الله تعالى منك .ثم يتجلى في صورة كل اعتقاداتهم، فيسجدون له .إذا كان كل ما يوجد من مرتبة الحق تعالى، فإن له تحويلاً في كل صورة، مع أن الصورة ليست في جميع الأعيان سوى من حيث الوجود. فلا تنظر إلى العين سواء كانت في مرآة الحق تعالى أو في مرآة المخلوق، إلا أنها هي ذاتها، وليس هذا محددًا بالنظر فقط، بل لا يكون الحكم إلا بناءً على ذلك، سواء كان الحكم بالنظر أو غيره، لأن المعدوم إذا كان معدومًا لا يثبت له حكم، فالحكم لا يكون على جميع الأعيان بالنظر وغيره إلا باعتبار ثبوته في علمه الذي لا يمكن تغييره من أي شيء) ".احذر من جميع الأقوال المذكورة حتى لا تؤدي إلى فساد العقيدة، واطلب من الله أن يمنحك الفهم الصحيح، وكذلك بالنسبة لكل ما

لا تفهمه في هذا الكتاب، فاسأل أهل العلم (أن الوجود ليس سوى الله تعالى، وأن الوجود في هذا العالم هو تجلي لوجود الله تعالى، وهو ليس حقيقةً بل تعبيراً من قِبَل العارفين للاقتراب من الفهم، وليس حقيقته. كما أن البحر والموج والرغوة كلها تجليات للماء، ولا وجود حقيقي إلا الماء. وعندما يظهر الماء بأشكال متحركة مثل الموج والرغوة، فإنها تنشأ عن الماء، وعندما يكون الماء في مكان واسع مثل البحر، فإن جميع هذه الأشكال ليست سوى تجليات الماء. إذا لم يكن الماء متحركاً ولا يظهر في صورة واسعة، لما كان هناك موج أو رغوة أو بحر. فيعود كل ذلك إلى الماء فقط، ويختفي الموج والرغوة والبحر فيه. وبالمثل، فإن وجود الله تعالى يشمل كل الوجود في هذا العالم، لأن العالم ليس له وجود مستقل، بل هو فاني في وجود الله تعالى. كما قال الله تعالى: "وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيط" "بدأ الشيخ العلامة العارف بالله مولانا عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي العمري رحمه الله تعالى ببيان أن الله تعالى هو الذات الواجب الوجود الذي يمتلك كل صفات الكمال والتوحيد، وليس المقصود من هذه الصفات هو الفقه في العلوم الظاهرة التي يظل الكثير منها عن معرفة الذات بصفاتها بشكل كامل. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، أي: حيثما توجهت بوجهك، فإن الله موجود هناك. وقال أيضاً: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾، أي: الله تعالى معكم في كل مكان.وأيضاً، فإن أوراد التصوف المرتبطة بذاته تقتضي أن كل شيء في الكون هو الله تعالى، وبالتالي لا وجود لأي شيء سوى الله. كما جاء في تفسير الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه "الجواهر والجواهر": "من قال إن معية الله للمخلوقات هي من نوع الفقه، فإن قوله يلزم منه نفي الصفات عن الذات، وهذا مستحيل. لكن من قال إن المعية تعود إلى صفات الذات، فإن ذلك يكون من أدب المعرفة السامية، لأن صفات الله لا يمكن أن تنفصل عن الذات، حتى وإن كان ذلك يفصلها عنك لأنه في غاية الدقة."وفيما يتعلق بوجود الله تعالى، فإنه ليس جوهراً ولا

عرضاً، وليس اتحاداً ولا حلولاً، وليس له جهة ولا حد لأنه لا ينحصر ولا ينفصل عن أي شيء .كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، أي: لا يشبه الله تعالى أي شيء، وهو السميع البصير، ولا يصاحبه أحد، ولا يولد، ولا يُولَد، وليس له شريك، وكل شيء آخر يحتاج إليه.كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْأَحَدُ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، أي: قل أيها محمد، إن الله تعالى واحد، وهو الصمد الذي يحتاج إليه كل شيء، ولا يلد، ولا يُولَد، وليس له نظير أو مثيل" .عندما تتحقق وتنظر إلى أنه لا يوجد موجود سوى الله تعالى، وأن وجود العالم كله ما هو إلا مظاهر لوجود الله تعالى، ولا وجود لها في الحقيقة، بل هي مجرد خيال ووهم مقارنة بوجود الله. فعندما تفنى المخلوقات في أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته وذاته، لا يبقى عندئذ شيء في المخلوقات سوى الخيال والوهم، وتتلاشى الربوبية في المظاهر، ويرى حقيقة العالم بنوره، فيرى كل الأفعال في هذا العالم هي أفعال الله تعالى. تكون هذه الأفعال مثل خيط معلق في الهواء، تتحركه الرياح يمينًا ويسارًا، ولا فعل لها.وهكذا تظهر كل الأسماء في هذا العالم، يراها جميعًا أسماء الله تعالى، وكذلك جميع الصفات هي صفات الله، ووجودها هو وجود الله. ثم يغرق الشخص في بحر الوحدانية الإلهية، ولا يتوقع أبدًا أن يعود إلى حالته الأصلية، ويكون في حالة من السكر الشديد بسبب شربه لخمر الحقيقة، ولا يتوقع أن يفيق أبدًا من هذا السكر الشديد" .الفصل الخامس: مقام الفناء في الله ومقام البقاء بالله عندما يصل الشخص إلى مقام "الفناء في الله"، يعني أن وجوده يتلاشى في وجود الله ويدخل في حضرة الله العظيمة. ومع ذلك، لم يصل بعد إلى الكمال لأنه لم يصل بعد إلى مقام "البقاء بالله"، أي البقاء مع الله والنظر إلى ما يديمه الله تعالى.هذا المقام يثبت وجود كل الأشياء في العالم بمراقبة ورؤية حالتها، وهي تعكس وجود الله تعالى. ويتضمن هذا المقام أمرين: أولاً، شهود الكثرة في الوحدة، أي رؤية الكثير في الواحد.بمعنى أنك ترى أن وجود كل المخلوقات يعتمد

على وجود الله تعالى بذاته. مثلما ترى شجرة وترى أنها تتكون من جذع وأغصان وأوراق وما إلى ذلك، ثم تنظر وتتأمل بعقلك أن كل ذلك ناتج عن شيء واحد وهو البذرة. وكذلك الحال مع العالم، كل شيء فيه ناتج عن واحد وهو الله تعالى. فتأمل وفكر بذلك .ثانيًا: شهود الوحدة في الكثرة، أي رؤية الواحد في الكثير بمعنى أن تنظر وترى أن الله تعالى موجود في جميع الكائنات. على سبيل المثال، عندما ترى بذرة واحدة، فإنك تعتبر بعقلك أن منها تنبثق كل الأوراق والأغصان والشجرة وما إلى ذلك. كذلك هو وجود الله تعالى، من الواحد ينبثق كل العالم (اي يخلق الله كل الشئ)."فتأمل يعني أن تنظر بشعورك الداخلي وليس بالقول والكلام، لأن الألسنة تعجز عن التعبير عنه. علاوة على ذلك، فإن القول واللفظ لا يعطيان الفائدة، ولهذا السبب ".قال سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه: إن طريق سيد العارفين من الذين يمتلكون الحقيقة واضح جدًا. رضي الله عنهم أجمعين، وهو غائب لا يمكن أن تدركه الحواس الخمس ولا تراه العين. ويسير هذا الطريق بالقلب لأنه من الأمور الغيبية، لذا يجب على أولئك الذين يسعون للحق أن يصدقوا آثاره ويقبلوه بجدية واجتهاد وأمل واستعداد، لأن هذا الطريق صعب على النفس. وذلك لأن العلم الذوقي لا يمكن أن يُكتب في أي نصوص، ومن يدعي أنه يمكن التعبير عنه بالألفاظ والكلمات والتعبيرات، فهو كافر زنديق (نعوذ بالله من ذلك).ثم يتجلى الله تعالى بذاته بلا واسطة صفاته على عبد يختاره، فيفنى هذا العبد في ذاته وكل المخلوقات الأخرى بصفاتها وذاتها، فلا يستطيع أن يخبر أحدًا عن هذا التجلي .ولا يمكن أيضًا الحصول عليه بالتلقين من المشايخ. إنما المشايخ المرشدون يوجهون فقط إلى الطريق ومكانه لأنه أمر ذوقي، فمن لم يشعر بالذوق لا يعرف. كما قال الحكماء: (من لم يذق لم يدر)، أي: من لم يشعر لا يعرف.مثال ذلك، مثل الشخص الذي يُخبره الآخرون عن طعم السفرجل، فلن يعرف الطعم الحقيقي لأنه لم يجربه. إذا جربه بالفعل، سيعرفف حقيقته. وكذلك المعرفة بالله

تعالى، إذا شعر بها الشخص بالفعل، سيعرفها دون صعوبة في التعبير عنها، ولن يتمكن العارفون من تعريفها أو الإشارة إليها، ويعجزون عن التعبير عنها.كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبحانك ما عرفناك حق معرفتك)، أي: "سبحانك يا الله، لم نعرفك حق معرفتك". وتعجز ألسنتهم عن وصفه" .كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من عرف الله كل لسانه)، أي: من عرف الله تعالى حق المعرفة فإن لسانه يعجز عن التعبير لأنه ذوقي. ومعنى ذلك أنك ترى أن الله تعالى موجود في كل موجود، فتشاهد حقيقته وكرامته. إذا وصلت إلى معرفة ذاته دون حيلة ولا كيفية، وتشاهد قدرته وعظمته. إذا لم تصل إلى معرفة ذاته ووصلت فقط إلى صفاته، فهذا هو حال غالبية الأولياء، حيث يصلون إلى معرفة الله تعالى بصفاته فقط، ولا يصل إلى معرفة ذاته إلا الأولياء الذين هم تحت قدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما ورد في بداية الفصل الرابع.وعندما يشعر الإنسان بتجلي الذات فيه، يختفي في "بحر الأحدية" المطلق، الذي (ليس كمثله شيء). ولا يرى أفعاله المنسوبة إليه، ولا ينسب شيئًا إلى نفسه أو إلى أي مخلوق. ولا يلتفت إلى أي تعبير، مثل نسبة الأفعال الحسنة إليه، ولا يلتفت إلى أي مقام من مقامات التوحيد باجتهاده لنفسه. ولا يعرف سبب حصوله على هذا من مشاهدته للوجود المطلق القائم به وبوجوده. والشخص في هذا المقام لا يشعر بشيء لأن تجلي الذات يمحو في مشاهدته وجود المخلوقات جميعًا، فيفقد عقله أمام ذلك، ويتجلى له نور أعظم مما يشاهده .قال الشيخ العارف بالله مولانا السابق صديق بن عمرهان قدس الله سره: "من كان في هذا المقام، فلا يتقيد بالشريعة، وقد يتكلم بكلام لا يقبله علماء الشريعة. لذلك، يحكمون عليه بالزندقة. لأن الشخص في هذا المقام هو شخص صاحب حقيقة فقط، ولا يتقيد بالشريعة الظاهرة. هذا ما قاله الإمام الجنيد رضي الله عنه: "لا يصل أحد إلى درجة الحقيقة حتى يشهد عليه ألف من الصادقين بأنه زنديق".قال الشيخ عبد

الوهاب الشعراني رحمة الله عليه للشيخ علي الخواص قدس الله سره: ما هي درجة الحقيقة؟ فأجابه الشيخ علي الخواص رضي الله عنه: درجة الحقيقة هي اختفاء كل الوجود الظاهر في نظره، وليس اختفاء في النفس الأمرية. فعندما يشاهد ذلك، لا يرى بقلبه إلا الله تعالى، وعندما لا يرى إلا الله تعالى، فإنه لا يعرف ما يقوله، ولا يتذكر قوله بما يتفق مع قواعد الشريعة الظاهرة. ولذلك، لا يصدق الصادقون إلا بحكمهم عليه بالزندقة حفاظًا على ظاهر شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خوفًا من أن يُضل الناس، كما حدث مع الحلاج المقصود بـ 'الصديق' هنا هو الشخص الذي يسلك طريق الشريعة في جميع الأمور بشكل كامل. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله عن أستاذه: 'الأمر كما هو، لا يمكن أن يصل كل سالك إلى الحقيقة'. لكن أستاذه رضي الله عنه قال: 'بل يمكن أن يصلوا إلى الحقيقة، ولكن الله تعالى يحفظ السالك من خلال شيخه بفتح الحجاب عنه حتى يعود إلى درجة الأدب التي يذمها السلف الصالح'. والله أعلم.عندما تتجلى لك السر في لحظة عين، مثلاً، فإن السر الذي تحصل عليه عبر المشاهدة، فيحافظ عليه بحضورك، لأن هذا ليس بالأمر المتاح سوى لبعض الأفراد مثل الأنبياء وبعض الأولياء الكاملين، وليس لغيرهم. حافظ على هذا السر ولا تكشفه لأحد، لأن كشفه يعتبر من المحرمات التي حظرها الله تعالى. وأوصى الله تعالى بستر هذا السر وعدم فتحه على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما في قوله: 'إن الله محرم، فلا تمسكوها'، أي: إن الله له أسرار محرم كشفها، فلا تكشفها.إذا ظهرت لك الأسرار عبر ذوقك، فاحفظها بالعمل بكل ما أمرت به وابتعد عن كل ما نهيت عنه، حتى تبقى ثابتة لديك. لأن السر هو من أعظم الأسرار، ويجب عليك أن تخفيه عن غير أهله. ويأتي الشريعة لتوصي بإخفاءه عن غير أهله، كما سيتضح في المستقبل إن شاء الله.أما أهل السر فهم من ينقي قلوبهم من كل ما سوى الله تعالى، وهم معدون لاستقبال هذا السر ويحتفظون به

في صدورهم. لا يعلمون به أحداً سوى من يأمرهم الله تعالى بالكشف له، لأنهم في مقام الأدب مع ربهم. فإن أمرهم الله بالكشف، فإنهم يفعلون، وإن نهاهم، فإنهم يمتنعون.ثم إن مقام 'البقاء' يعود إلى الشريعة الظاهرة لنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويعني العمل بما أمرت به الشريعة وترك ما نهيت عنه، وإعطاء كل ذي حق حقه وإتمام كل ما له حق، وعندئذٍ يصبح في هذا الحال 'بقاء الله'، وهو ما يُطلب .

Diterjemah tgl 25 07 2024

Selesai untuk jilid 1 tgl 26 07 2024 hari jumaat pukul 15:25

Darul Hkmah Peunaga Rayeuk Meulaboh